تراثنا

نشرة فصلية تصدرها

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

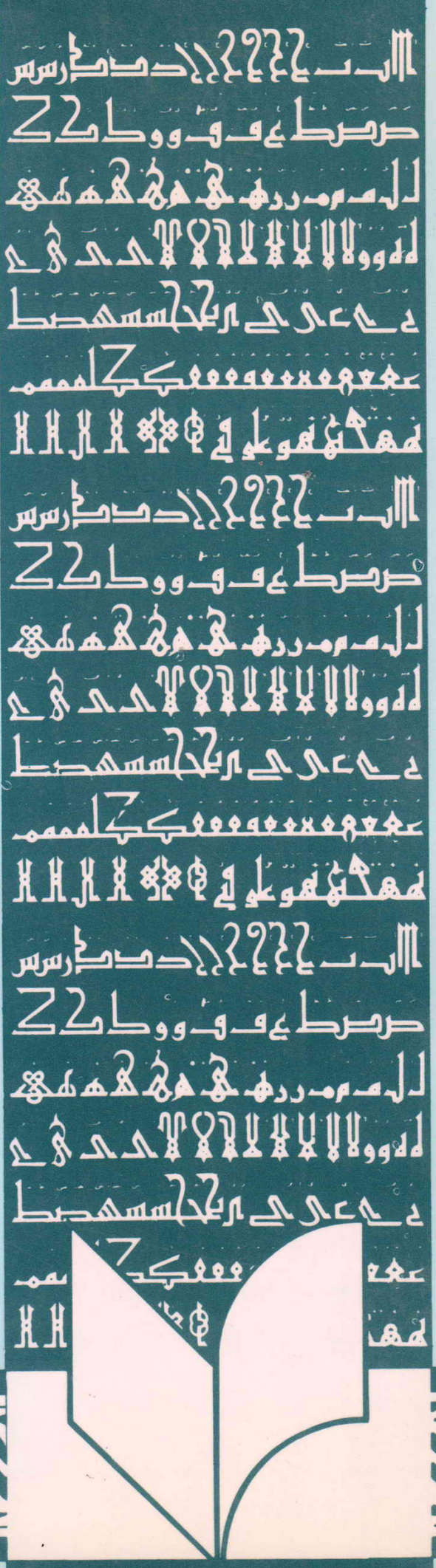

العدد الثالث - السنة الأولى - شتاء ١٤٠٦

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

- الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والمهتمّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام.
- الآراء المنشورة لا تعبر عن رأي النشرة بالضرورة.
- ترتيب المواضيع يخضع لاعتبارات فنية، وليس لأيّ اعتبار آخر.
- النشرة غير ملزمة بنشر كل ما يصل إليها.

المراسلات:

تعنون باسم **هيئة التحرير**

إيران ـ قم ـ ص. ب (٤٥٤)

صفائية ـ ممتاز ـ پلاك (٧٣٧) ـ ت: ٢٣٤٥٦

إسم النشرة: تراثنا

العدد الثالث ـ السنة الأُولى ـ شتاء ١٤٠٦ هـ. ق.

الإعداد والنشر: مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث.

العدد: ٣٠٠٠ نسخة

نظرات سريعة

في فن التحقيق

(٣)

أسد مولوي

(تحدّثنا في العدد السابق عن بعض صفات المحقق، و نتحدث هنا عن أربع صفات أُخرى هي:)

٥ ـ الصبر والأناة:

المخطوطات بما رافقها من ظروف سيئة في الغالب، و بطول الزمن الذي يغيرالأحوال و يفعل فعله في الحجر الصلد، و ببعد العهد الذي تغمض معه الواضحات، و تنبهم السبل.. والمحقق بها هو مجدّد لشباب الكتاب و راجع به إلى ما كان عليه كما أخرجه مؤلفه أو قريب منه..

هذه الامور ـ و غيرها ـ تقتضي من المحقق الصبر والجلد في معالجة مخطوطة أحال خطّها القدم، و تنقص من حبرها و ورقها بُعد العهد، واعتورها من عوامل الطبيعة و فعل الانسان ـ مالكاً و وارثاً و قارئاً ـ ما غيّر صورتها و أبهم واضحها.

فعلى المحقق أن يكون على ذكر من أن الحبر كثيراً ما ينصل، و أنّ الأيدي التي ملكت المخطوطة كثيراً ما تتدخل فيما يظنه فاعله إصلاحاً وهو عين الإفساد، و أنّ الجلد ربما تهرّأ فجدّده مجلّد غير عارف بالكتاب فغيّر من ترتيب أوراقه ـ خصوصاً والكثير من المخطوطات خال من أرقام الصفحات معتمد نظام التعليقة الذي كثيراً ما يوهم، و بعضها خال حتى من هذاالنظام ـ و أنّ .. و أنّ .. مضافاً إلى ولع العثة بالكتب، و فعل الرطوبة والجوّ فيها.

فما يسع المحقق ـ والحالة هذه ـ إلاّ أن يعتدّ بالصبر في مواجهة هذه المشكلات، ليخرج منها سالماً من تطرّق الأوهام.. إلاّ أوهاماً هي من طبيعة الإنسان.

أمّا إنْ ضجر المحقق فَقَدْ فَقَدَ أقوى جننه .. ولا يأمل أن يخرج كتاباً أحسن من نسخة مخطوطة كغيرها من المخطوطات.

ولا يخفى أنّ من ملازمات الصبر الأناة. لأن العجلة مظنّة السهو والوهم، وليجرب المحقق نسخ المخطوط الذي يبغي تحقيقه ـ والنسخ مرحلة يسرع فيها المحقق بطبعه لأن التدقيق والتنقير سيأتي بعدها ـ ولينظر في مرحلة المقابلة ـ التي تأتي بعد النَسخ ـ ليرى كم سقط من قلمه من كلمات وكم زاد من عنده!

ولئن تسومح بالسرعة في مرحلة النَسخ، فلا يمكن أن يتسامح بها في مرحلة الضبط .. وما يضير المحقق أن يصرف من وقته ساعات ـ بل أياماً ـ منقّباً في بطون الكتب مراجعاً للعارفين بالفن.. لضبط مشكل أو تصحيح تصحيف أو إيضاح غامض.

وما أشبه عمل المحقق المتأني باللؤلؤة الطبيعية في جوف المحارة تستوي كما أراد لها الله تعالى، ثمّ تكون زينة تزري بالألُوف من لؤلؤ الصناعة السريع إنتاجه.

٦ ـ الأمانة:

يعتزالكاتب بكتابه اعتزازاً بالغاً قد يوازي اعتزازه بولده أو يزيد، لأنّ ولده امتداد له إلى عدة عقود من الزمان بينما كتابه امتداد خالد له و نعني بالخلود هنا مفهومه الأرضي أي البقاء الطويل ـ والانسان بطبعه مفطور على حبّ البقاء، وما أهرام مصر.. وما تحنيط جثة لنين الملحد الآ شاهد صدق على هذا.

فالمؤلف عند ما ينهي كتابه و يضع فيه أعزّ ما عندالانسان ـ فكره ـ إنّما يتركه أمانة في أعناق الأجيال، وهو لا يرضى بتغييره أو تحويره، وقد نبّه بعضهم في أواخر كتبهم على هذا ولعنوا من بدّل أو غيّر في مؤلفاتهم.

وما أسوأ ما صنع ناسخ التفسير العظيم ـ تفسير العيّاشي ـ حيث حذف أسانيده، وفي هذاالتفسير من درر أحاديث أهل البيت عليهم السلام مالا يوجد في غيره، ولو وصلنا مسنداً لكان شأنه في العلم والفكر أيّ شأن.

فقد جنىٰ ناسخه ـ كما ترى ـ جناية علمية كبرى في إغفاله الأمانة عند

نسخه إيّاه، و أفقد الأُمة الإسلاميّة بهذاالإغفال درّة يتيمة من درر تراثها.

والمحقّق مكلّف بهذه الأمانة، واجب عليه رعايتها، محرّم عليه خيانتها، فإن قام بواجبه فبها و نعمت.. و إن خان فإن حساب اللّه وحساب التاريخ شديد.

ليس للمحقّق أن يبدّل أو ينقص أو يزيد في الكتاب الذي يحققه، فإن أوجب البحث أن يفعل شيئاً من هذا فعليه أن يشير إلى ما أصلح أو زاد أو نقص، بحيث يتميّز عمله و عمل صاحب الأصل.

لكنا ـ مع شديد الأسف ـ نجد في كثير من المطبوعات التي كتب عليها أنها من تحقيق فلان.. زيادة ونقصاً و تبديلاً و تغييراً عمّا رسمه المؤلف لغايات أقل ما يقال فيها إنّها خيانة علمية.

فهذا المحقق المعروف عبدالسلام محمد هارون في تحقيقه لـ «وقعة صفّين» لنصربن مزاحم المنقري ـ الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ ـ ص٢٣١ بعدالسطر الثامن رأساً، قد وقع في وهم لا يسامح عليه، فقد أسقط نصّاً من الكتاب هو:

[وعن عمربن سعد، عن سلام‌بن سويد، عن علي عليه السّلام في قوله: «وألزمهم كلمة التقوى» قال: هي لا إله إلاّ اللّه واللّه أكبر. قال: هي كلمة النصر].

مع العلم أنّ هذاالنص المحذوف جاء في طبعة إيران على الحجر سنة١٣٠١ هـ، ص ١١٩ السطر الثامن، وقد اعتمد هارون هذه الطبعة أصلاً في تحقيقه، قال في صفحة ح ـ ط من مقدمته لـ «وقعة صفين»:

«طبع هذاالكتاب لأول مرة على الحجر في إيران سنة١٣٠١ وهذه الطبعة نادرة الوجود .. وهذه النسخة هي التي قد اتخذتها أصلاً في نشر هذاالكتاب وتحقيقه، وهي التي اعبّر عنها بلفظ (الأصل)».

ثم.. هذاالذي أسقطه هارون موجود بنصه وفصه في بحارالأنوار للعلاّمة الكبير الشيخ محمد باقرالمجلسي ـ المتوفّىٰ سنة١١١١ هـ ـ رحمه اللّه تعالى، في الطبعة الحديثة ج١٠٠ صفحة ٣٧ حديث ٣٥، و إيراد المجلسي ـ رحمه اللّه ـ له يدلّ دلالة قاطعة على أخذه له من نسخة مخطوطة أقدم من المطبوعة على الحجر بأكثر من مائتي عام.

وعلّق ناشر البحار على الحديث بقوله: «لم نجده في مطبوعة مصر، و يوجد في طبعة إيران القديمة ص ١١٩».

و واضح أنّ النصّ خال مما ينثير مذهبياً.. فما أدري ماالسبب في حذفه!

ثم ليعلم أنّ باب العصبية المذهبية والتحزّب الأعمىٰ أوسع الأبواب التي يؤتىٰ منها المحقق، ومثله باب الجهل وعدم الدليل.. و إلاّ فما على المحقق إن كان نصّ المؤلف لا يوافق هواه أن يثبته في مكانه ثمّ يعلّق عليه في الهامش.

وقد رأينا من المطبوعات المحرّفة كثيراً من هذاالنوع مما يفقد القارىء الثقة بها و بالقائمين عليها، و يجعله يفضل الطبعات الحجرية بل النسخ المخطوطة على كثير من المطبوعات المحققة الأنيقة!

ولا يظنّن متصدّ لتراثنا أنّ القراء بتلك المنزلة من الجهل، فقد رأيت أشخاصاً لا يحملون شهادة قديمة ولا حديثة، و يعدّون في عدادالعامة زيّاً ومعيشة، لكنّهم - يشهدالله - على درجة من الفهم والتتبع والإحاطة دونها كثيرون من حملة أرقى الشهادات الجامعية.

و امة بُني دينها على العلم لا يتوهمن أحد أن تخلو من العلماء.

أمّا عصر تحريم قراءة كتب الفئة الفلانية فقد ولّىٰ مع طواغيته.

نعم.. يستثنى من ذلك الخطأ الواضح المقطوع به، أوالزيادة الموضحة لمراد المؤلف.. فليس على المحقق حرج أن يصلح هذا الخطأ أو يزيد هذه الكلمة، بشرط تمييزها عن عمل المؤلف، و بشرط إحراز رضا المؤلف.

وهذاالإحراز له دلائل تدل عليه، ولأذكر مثالاً على ذلك:

. لو أنّ محققاً اشتغل في كتاب مؤلفه نحوي معروف و رأى فيه خطأ من الأخطاء النحوية المقطوع بخطئها، والتي من مذهب المؤلف تخطئتها، ولم يأت به المؤلف هنا للاستشهاد على مذهب يخالفه.. فإننا هنا نقطع بأنّ هذا الخطأ طارىء على النسخة و أن المؤلف يرضى بإصلاحه.

٧ - الذوق الجميل:

الحياة الجافة مملة مصروفة عنها الأنظار، والحياة العلمية مع ما فيها من لذات عقلية و متع روحية، قد يعرض لها ما يسمها بسمة الجفاف.. لذلك نرى اسلوب التدريس يختلف من أُستاذ إلى آخر، فهذا أُستاذ يتشوق الطلبة لحضور درسه و يأسون لفوات محاضرة من محاضراته.. وما هذا إلاّ لذوق منه جميل يصبّ به الدرس في

قالب من الإلقاء والتفهيم مشوق.

والكتاب الفلاني غرة في كتب التفسير ـ مثلاً ـ لكن إخراجه الطباعي و توزيع فقراته صارف للقارىء عن اجتناء يانع ثمراته، واجتلاء عرائس أفكاره. والكتاب الإسلامي التراثي لم يخرج إلى الناس ـ في الأعم الأغلب ـ بالصورة التي تجذب القارىء و تستهوي المطالع، إلاّ أفراداً قد لا تتجاوز عدد الأصابع.

و إلاّ فأين الطبعة الأنيقة ـ التي تدعوالقارىء للنظر فيها و اقتناص فوائدها ـ من كتاب رياض السالكين، شرح الصحيفة السجّادية، على منشئها السلام، وهو أحسن و أبدع ما أُلّف على الصحيفة، و مؤلّفه لغوي أديب شاعر صحيح الولاء لآل بيت الرحمة عليهم السلام..!؟

وقل مثل ذلك في التفسيرين الجليلين: «التبيان» و «مجمع البيان» لشيخ الطائفة الطوسي و مفسّرها الطبرسي نوّرالله ضريحيهما.

و عرّج على الكتب الأربعة: الكافي والفقيه والتهذيبين.. ومرّ بنظرك على الشروح الجليلة: «مرآة العقول» و «روضة المتّقين».. فلن تجد إلاّ شاكياً يتلو شاكياً من الإهمال و قلّة العناية.. بل عدمها.

المحقّق الذوّاقة يستطيع أن يخرج لنا من هذه الدرر الغوالي غرراً في جبين الدهر، و ينبوعاً رقراقاً من علوم أهل البيت عليهم السلام فيه الريّ والرواء.

والذوق الجميل هوالذي يفعل بهذه الكتب فعل الجوهري الصنّاع الذي يجعل من حجر كريم ـ هو كبقية الأحجار في شكله ـ زينة لا تقدر بثمن.

فتوزيع فقرات الكتاب، و تفصيل أبوابه، و ترقيم أحاديثه، وشرح غامضه، و تنظيم إحالا ته،و الإبداع في تنويع فهارسه، التي تجعل مطالب الكتاب من القارىء على طرف الثمام..

ثم اختيارالحرف الطباعي الجميل والورق المناسب.

هذه الأُمور ـ مجتمعة ـ تجعل الكتاب يضيء بعضه بعضاً.

٨ ـ الإلتزام:

الدين الإسلامي دين النظام، فالشارع المقدّس نظّم حياة المسلم تنظيماً دقيقاً في جميع مناحيها .. ولا يكاد يمرّ بالمسلم أمر من الأمور إلاّ وقد حسب له الشرع

الشريف حسابه و وضعه في نصابه.

و مسألة العلم التي أولاها الإسلام مكانة سامية، وكثرالحث على طلب العلم وحفظه ونشره في القرآن الكريم والسنّة الشريفة ممّا تغنينا شهرته عن ذكره.

لكنّ مسألة قد تكون خافية أو قريبة من الخفاء هي مسألة كتب الهدى وكتب الضلال التي ذكرتها الرسائل العملية و رتّبت لها أحكاماً تمسّ موضوعنا ولها به تعلّق قويّ.

فصيانة عقل الإنسان وفكره وحفظهما مما يدنسهما فرض في الدين لازم.. من أجله حرّمت الخمرة و أشباهها.

وقد رسخ هذا المفهوم ـ مفهوم الإلتزام العلمي والثقافي ـ في وجدان المسلم، فلا تكاد تجد مخطوطة إلاّ وقد ختمها مؤلفها بطلب الدعاء من القراء، واعتدادها ممّا يدّخره ليوم القيامة.. وكثيراً ما ختم النّساخ كتاباتهم بطلب الدعاء من القارىء أو بطلب إصلاح الخلل أو عدّالنّسْخ من الأعمال التي يحاسب عليها الإنسان.

هذا ابن البوّاب الكاتب (ـ ٤٢٣ هـ) الخطّاط المعروف، يقول في رائيّته في علم الخط(١):

وارغب بنفسك أن يخطّ بنانها خبراً تخلفه بدار غرورِ
فجميع فعل المرء يلقاه غداً عند التقاء كتابه المنشورِ

وهذاالبيت السائر الدائر في خواتيم المخطوطات:

ولا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة أن تراهُ

إلى الكثر الكثير مما حفلت به أوائل المخطوطات وخواتيمها.

وقد شاع هذاالمفهوم حتى أصبحت نسبة هذه الأشعار مجهولة.. لأنها صارت شعار أُمّة.

فالمسلم الملتزم الذي يرى نفسه محاسباً على أعماله، لا يتحف أُمّته إلاّ بما يثقل ميزان حسناته غداً، مما ينفع الناس من الكتب القيّمة.

وكان المستشرقون من أضرّ الأعداء بما نشروه من تراثنا المحسوب علينا وما قَعّدوه من قواعد لدراسته، فتراهم يغرقون الدنيا بطبعات رباعيّات الخيّام المشكّكة،

---

(١) أُنظرالكنى والألقاب ١/٢٢٤.

وهي طبعات مصوّرة أنيقة لكنّها السمّ في الدسم.. و بطبعات ألف ليلة وليلة ذات الصور الماجنة التي خطّتها يراعات مصوّريهم فأبرزت تحلّلهم و أطّرته بإطار شرقي!

و في جانب الفكر شغلواالناس بابن الريوندي الملحد و أمثاله، و ربّوا خادماً و ناشراً لهذا الملحد رجلاً ينتسب إلى أُسرة علمية دينية، نشأ في مدرسة إسلامية أوصلته إلى مقاعد جامعة كمبردج في إنكلترة.. وعاد إلينا جاحداً لأُسرته منكراً لجميل المدرسة العلمية الإسلاميّة التي هيّأت له أسباب الدراسة و أوصلته بما لها ـ الذي هو من أخماس و تبرّعات مؤمني المسلمين ـ إلى نيل شهادة الدكتوراه!

فعلى المحقّق المسلم أن لا يكون ملقط جمر.. يلقط من نار أعداء الأُمّة و يرميه في عقول أبنائها، وفي تراثنا الكثير الطيّب الذي أجره مضمون لناشره، وهو مفيد في رفعة الأُمّة وعلوّ شأنها.

و يمكن أن نأخذ من غيرنا خير ما عندهم ممّا يتّفق مع قواعدنا وظروفنا.. فنحن أُمّة لها أصالتها ولم تعش يوماً على فتات موائد غيرها.. إلاّ حين تسلّم القوس غير باريها و صَيَّرالأُمَّة حقل تجارب لأفكار الغربيّين والشرقيّين التي هي كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الأرض مالها من قرار.

ولكن.. أمّا الزبد فيذهب جفاء و أمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض..

و لله الأمر من قبل ومن بعد.

للموضوع صلة...